علي الدميني

بياض الأزمنة



شعر



بياض الأزمنة

بياض الأزمنة

شعر

الطبعة الثانية

١٩٩٩م

عنوان الشاعر:

المملكة العربية السعودية

الدمام

ص.ب ٩٨٧٩

لوحة الغلاف : للفنان عبد الله الشيخ

علي الدميني

بياض الأزمنة

شعر



بروق العامرية

"وتحبُني وأحبُها"

وبكل مُنعَرجٍ ركزنا خِدْرَنا عَلَماً ، وتوّجنا
الوعولَ مليكةً أولى على عرش البراريْ .
لا نبعَ في الصحراءِ إلا وجهُها يروي عشياتي
ويجلو راكداتِ البيدِ في قلبي ، ولا ظلٌّ سوى أغصانها تنحلُّ
ما بين المدارِ إلى المدارِ .

"و تحبُّ ناقتُها بعيري " ،
يا تهامةُ اطلقي الأعرافَ من كبدِ الرمالِ ، وسيجّي بالزّارِ رقصتَها "
أُحلّ لها المبيتُ على حصيري " ،

فإذا أطلّتْ في الغداةِ على مضاربنا تسلّقت الكثيب إلى سواعدِها ، وآخيتُ المحارمَ بيننا ، وأخذتُ ثأري .

يا سارياً في جنةٍ عرضهـــا

عيني وبعـضُ الماءِ في راحتـي

هبْ لي رمـاداً خاشعـاً فأنـا

أحييه من جمـري ومن رعشتي

إني وجـدتُ الدهرَ في حجرِها

غـافٍ فأمّنني على وحشـتي

وحـرّر الأمشـاج من غيّهـا

حتى تساوى الخلقُ في حضرتي

كأسي القرطبية هذا مزارك مشتملٌ بالبخور وفيض الزبدْ

والتي لا شبيهَ لها في الهوى ،

والتي مثلُها لا أحدْ

تستبيني فاسبحُ في فلكِها

وهي في جنتي ترتعد

حملتني فأولدتها

ألفَ بنتٍ لنا و ولَدْ .

يَتُها العامريةُ ، يا أختَ يحي ، لك الشدوُ من عتباتِ الحناجرِ

حينَ يصيرُ الحنينُ يماماً على الكفِّ ، والراقصون مدائنَ

لا تقفل الليلَ أبوابها ، والصباحْ

يَتُها الجاهليّةُ ، في عرشها ينبتُ الطيرُ ،

والفلواتُ يزغردن بالنوقِ ،

و الناسُ ،

كلٌّ على فلكٍ يسبحون .

مطرٌ صحونا وغمامٌ حنونْ

وأنا بين ليلينِ

من رقّةٍ وجنونْ

والقوافي تشبُّ الهوى

في محارِ العيونْ

ليت لي من أنا فارساً أرِقــاً فـأكــونْ .

ضالعٌ في الخراقةِ ،

خضراء

حمراء

زرقـاء ،

مختلـطٌ بعضُ ألوانِهـــا

آن للماءِ أن يتفقدَ أغصانها ،

مثلما كان جدي ينظّفُ رحليهِ من تعبٍ ، ويؤمُّ القطا ،

ويوائمُ ما بينَ ماءٍ ونارٍ ، ومجدٍ وعارٍ

ومُشْتبهٍ للهزيمة والانتصارِ ..

ويقسمُ أني نذرتُ الهوى للعيونِ التي لا تخون ،

وأنا سوف أقسم أني نذرتُ الهوى للعيون التي

ستكون .

آبقٌ في الغواية ، هذا الفتى الغامدي الخجولْ

تتبدّى لهُ نجمةٌ في الحديقةِ بيضاءَ من ذهبٍ وحقولْ

وتوسوسُ فوق ذراعيه مغسولةٌ برداءِ الفصول

لا تقولي عشقتُكَ ، ما زلتُ غضّاً يخبُّ نهارَ الطفولةِ ،

لكنّها ستقولْ

ويكونُ الذي كانَ حين امتطينا صباح الخيول .

يتها العامريةُ ،

يا أختَ حواء ،

رأيتُنا في الهجوعِ ورأيتُنا في بكاءِ الزمانْ

يا نهاراً تنامُ الظهيرةُ تحتَ قناديله

ويسيلُ المكانْ

يا مهفهفة النارِ والنورِ ، والعينِ والحورِ ، والطيلسانْ

بيننا طفلةٌ ويدان

واغانٍ مسوّمة برقيق الحسانْ

يتُها الشجريّةُ : نسعى لكي لا يضجّ القريبون مِنّا

وكي لا يفرَّ البعيدون عنّا

وكي نتساوى على الخارطهْ .

يتها العامرية إنا وجدنا الميادينَ تفضي إلى بعضها

والشرايينَ تبحثُ عن نبضِها ،

فمـزجنا لها فرسـاً من دمٍ ،

وقباباً على المـاءِ

تنحلُ فيها الاباريقُ

من فضّةٍ خالِصَةْ .

يتها البابليةُ ، حورٌ من البحرِ يرقصْن حولكِ حتى اتساع الظمأْ ،

وحتى انبلاج المشيئة من عتمات الغسق

وحتى تهلّين من بارد المزن ما عتّقتْهُ دنان الورقْ

للمحلين ، والمحرمين

ومن لاذ بالنار خوف الغرَق .

ما يقول الفتى في يديهِ وقد غصّتا بالمدينةِ ،

علقتاه على سُدّةِ الشمس حتى ابترد

صاحَ أين المدد ؟

صاحَ أين المدد

فأتته رياحك عفراء من صيِّبٍ أخضرٍ و أبَدْ

: لك ما تشتهي أيهذا الولدْ

أنت حِلٌّ بهذا البلدْ

أنت حِلٌّ بهذا البلدْ

البياض

غسل الدهرُ حُزْننا بالأقـــاحي

واستوينا على بياضِ الجـــراحِ

ومهيض الجناح ما زال يقضـــان

حتى أتاه القطى بجنـــــاحِ

لا النهيراتُ جفّـــــت بكاءً

ولا البحرُ أرخى الهوى للريـــاحِ

خطّنا الحبرُ في البلاد كـــتاباً

واصطفانا من خُضْرَةِ التفـــاحِ

نتصابى

وإن علّنا الشيبُ قلنا

إنه الفجرُ في عروقِ الصباحِ .

علّلاني

و قد ركبنا المطايا

بحديث السُّمّار للمصبـــاح

يوم غنّتْ بنا الصحراءُ و فاضتْ منّا عذوقُ

البطـــاحِ

وخلعنا عن الليل برديه فبانت اشباهُهُ في

الأضـــاحي

واستبقنا الزمانَ

بأشواقنا للخطايا وأزهارِنا للّقـــاحِ

غفر الله ذنب المسيئين للظلم حتى ثمالة

الأقـــداحِ ه

يا أخا الوجد قلب " قَرِيْضٌ "

من شآبيب رحمةٍ

ورمـــاحِ

تستبيني الخطى فأعدو إليها

مثقلاً بالحديدِ و الألــــواحِ

لم تخني بصيرتي غير أنّي

أتشهّى مباهجي و ارتياحي

يا أخا الصحو "عنـــدمًا" ما شربنا

أم سُقينا خصومةُ الأقحـــاحِ !

في فمي وردةٌ وشظايا

أسكتتني

عن الكـلامِ المبـــاحِ . . .

لكَ ... كما أنت

يا قلبُ " لو أنّ الفتى حَجَرٌ " لا سيلتُ الأصابعَ

في دمي

وأتيتُ مختضناً بمكنون الحجاره .

أُهدي لعاشقتي قلائدها وأرفع اللذين مضوا بنادقهم

وأنزعُ من رحيقِ العمرِ محبرتي

وأكتبُ بالحجـاره .

وترٌ يجرُ عشيقةً تنعي أساورها وتجرحُ في التراب

عرائسَ الإنشاد

مملكةً لهودجهـا

فما أبقى الغبارُ لها سوى التذكارِ

والزمن المعلّق بالحجارهْ .

يا أيها الوطن العَصِيّ على العِصِيّ ، أفقتَ فاحتضنتكَ أوراقُ

الصِّغارِ من الرّدى

وطفِقْت تخصِف تاجَكَ الذهبيّ

من وهج الحجارهْ .

يا أيها الناريّ في الأشجارِ ، والمطريُّ في الأمصارِ ،

إطعمنا كتاب النار في الأحقافِ

إن رهينة الساعاتِ ساعتنا الحجارهْ .

فاجأتْك العواصمُ بالمقصلَةْ

أربكتنا الحجارة بالأسئلةْ

الجليل مثلثها ،

والبلاد دوائرها

والذي علَّ من يأسه ظمأً

قد رأى صيّباً يغتوي كأسَه المقبلَةْ .

❊ ❊ ❊

لكَ كلٌّ ما في الأفقِ من شجرِ البياض وآنساتِ البيدِ ،

همس الزيت للزيتون ،

والتفاح للعذراء ،

والزّهاد مقترفين ما تَسَعُ العبارهْ .

لكَ برقنا المائي يمضي قائماً بالوصل ،

يحمينا من الطوفان إذ نكبو

ويعرجُ بالقرى قمراً يسامر في منيّته بحار الله

باخرةٌ تعود وأمةٌ تدنو

وأغصاناً تهشُّ بصوت مقلاعِ الحجارهْ .

فوجئتُ /

مَنْ جَمَعَ اليمامَ إلى اليمامِ

ومن رقى فتقَ الكلامِ ،

ومن أتى شرفَ أهْله بصحائف الثورات وابتكر السلامْ ؟

قلنا : لإمرأة الحجارة سلّمٌ مُهْرٌ وأشراطٌ تئنُ ونابضٌ يلقي المدائن في حبائلها ، فلا ترتاب إمّا مسّها هَلَعٌ ، وإما اغتالها الشعراء والفصحاء في الندوات ،

مُحصَنةٌ تحصّن صدرها بالغيم والأطفال ،

مُدْلجةٌ ، مشردةٌ ،

توضأت العواصفُ في ترائبها ،

مقدَسةٌ

نُحِلُّ لها ذبائحها وتصريحات قاتلها ،

فإن سَلِمَت تأسينا مواسمَها ،

وإن نفقَتْ . . . . كفتنا من غنيمتها الحجارهْ .

قلنا لأنواء البلاد : مباركٌ هذا الفضاءُ الفحمُ فاشتعلي بأفراسٍ
مسنّنةٍ ، ووديانٍ مطهّمةٍ
وإعطي كل ذي حقٍ فريضتهُ ، وأرخي
جانحيك على الحجارةْ .

* * *

طوّقتكَ العواصمُ بالمقصلةْ
طوقتنا الحجارةُ بالأسئلةْ

وأتيتُ أبحث في السؤال عن الإجابةْ
لمن الطرائدُ في مدينتنا ، ومن غسلَ الكرى عن جفنِ
أحمدَ واستهلّ به خطابَهْ ؟

لمن القوافل والمهابَةْ ؟

لمن الصّبا يرعى منيته ، ويستدني العواصفَ من رقائقها ،

ويمنح غزة الكبرى مدائحها ،

وللقدس البهيّة عرسها القاني ، وللدنيا رفيف الأرض

والإنسان والوطن المحرر

والكتابةْ ؟

لكأنما جئنا لستينات هذا القرن يوكز شارعٌ أخويه مبتدراً

فيصحو الناس مفتتحين قهوتهم بأغنية الحجارةْ .

لكأنما سرنا إلي يومٍ يحرك شارعٌ بالمغرب الأقصى نوافذ

صبحنا في الشرق

حتى نرتقي دَرجَ الحجارة .

مطرٌ يعبُّ زجاجة الضوء الرهيفِ ، ويصطلي وجع الرغيفِ /
وغيمةٌ في ثوب حاملها / ، وأنهارٌ تدسّ حواصل الأرحام في
الأكمام

يا بصري عشيت !

أهذه الحسناء جنتنا التي أفنى الفلسطيني عترته لتبقى ،
والفدائيون بهجتهم لترقى ؟
هكذا يلقي المحبّ فتاته في الحبس !

تأسره ويأسرها فينفطر الحديد مسرّةً للعشق
/ أوطاناً تغيم
ودولةً تُبنى بأصداف الحجارة .

يا أيها الزمن النؤوم ضحى

يا أيها الزمن البذىء كفى

يا أيها الزمن الردئ ألا انحنيت

فقد أتى زمن الحجارة !

** الظهران – شهران بعد بدء الإنتفاضة

فـــــار

من لي بإمرأةٍ تنامُ إذا أتى

قرصُ المغيبِ على العرائشِ وامّحت

بعضُ الفواصلِ بين آنيتي

وبيني .

من لي بهذا البابِ يفتحُ شِرْعَةَ الرؤياء

على الدنيا

فأبُصِرٌ في الفنارِ (قبائلا) أخرى ،

وأوراقاً تكيل لي البياضَ من الحروفِ الصّمّ

أعُربِهُا لتصفو

أو ترى عيناي ما حملته عيني .

مَن لي بقلبٍ غارقٍ في النصِّ
أطلعهُ على شغَفي
وأرفعهُ إلى سعفي

وأوقِدُ فيه جاريةً من الأسفارِ
تختصُّ الكلامَ إلى قلائدِها
وأُشْبِعُ في ترائبها

حنيني .

البـــــروج

١ـ برج الغبـــار

للغبارِ منازلهُ

والبروجِ قبائلُها

فاذا ما عشي بصري

لامستني أوائلُها

ليلةٌ في يدي حاملٌ

وأنا لا أسائلُها

هو لي إن أتى ولداً

وهي إن انجبت

« فتنةً »

فلَهـــا

زمنٌ من حقائب مترعةٌ بالغبارِ ،

وأنثى المدائن في خدرها تستريب النهارَ ،

وارجوحة العاشقين تميل هنا وتقوم هناك ، فلا الماء من جمرها

يُستقى ،

ولا الصوتُ من صمتها ، يُستعارْ .

أُفقٌ من أصابع تركيّة الُبنّ ، قاماتها من تتارْ

وردةٌ من حديدٍ

و ثانيةٌ من جريدٍ

و ثالثةٌ لا تريدُ ،

فيا موشكاً أن يقوم على الطلح من قبره ،

كيف ترفو الفراغ

وترتق جرح الصبايا

وما انحلّ في طرقِ الموت من تمتمات الجرارْ !

٢- برج السرطان

شئت ألا أُقاوم فاتنتي في الصبا عن منيتها

وتبرعتُ أن استريح

قرب سور الكلام الجريحْ .

تبتُ ألا أقاوم اغنيةً تستبيح الندى بظفائرها وتبيحْ

مطراً قلبهُ قمرةٌ وسبايا

و أغصان ريح .

شئت ألا اعلّم طفليَ أن الخليقة اثنان : امرأةٌ

و (رَجُلْ)

رجلٌ و (امرأه)

وسلالاتُ من قدحٍ عبّها الخلق فائحة بالبروج

فأنّت حدائق من أسورهْ .

شئتْ ألا أحدِّث إثنين حتى أرى
مدناً في القرى
وتوابيتَ من فضّةٍ / تُستباحُ ولا تُشترى

شئتُ ألا أرى ما يُرى
في منامِ الشجيِّ من المعصيات
وما بين إلفين من - وجعٍ - يُنكَرَا .

تبتُ ألا أقاوم عاشقتي أن تصيح :
لا يصحُّ -، وقد آذنتنا العواصفُ بالحربِ -
إلا الصحيح !

٣ـ برج العذراء

قالت قرنفلةُ الصباح لجارِها : ياسيدَ الزمنِ النباتي

إعطني الحبلَ والعصا   والدنان المحــزّمَهْ

نصعد الأفقَ إن عصى   نرتقي فيه سُلّــمَهْ

أنا ياسدرة الهــوى   ريح نايٍ مسوّمــهْ

بعضها صار كوكباً   بعضها صار أوســمه

اجــترحني صبيّةً   واقترفني كمأثمــهْ ...

وسِعَ الزمانُ عباءة الموتى وما اتّسخَتْ

(عباتي)

أرفو جدائلها على رسن الخيول وألتقي فيها (النواتي)

تُلقي البلاد تمائمَ الأعياد في حجري فأرضِعها ،

وأُطْلِقُها ،

وارفض في ولادتها مماتي

٤- برج الأطفال

تعلّق صمت الصباح بقنديله فوق قوس المدينة /

لكنني لا أمرّ

أنا والغبار ،

وكأسٍ من الطين عتقته ليلتين

وجمّلته باصفرار الشجرْ

نشارك هذا الزمان كآباته

ونواسي الحَجَرْ .

مساءٌ يطلُّ

وإمرأةٌ لا تهلُّ

و أطفال في سرر النوم بين الكراريسِ والحبرِ

ينتظرون شحوب الخميس و وجه « الخُبّز »

أنا والغبار اقتتلنا على الموج

أرخي ليمضي

وأمضي ليغضي

ولكنه فوق فاكهتي يستقرّ !

رقصـــة أولـــى

يا وريـــدَ المـُـدُنِ

أنت قد قايضتني

بالرغيف المعدني

وحليب الوسنِ

فاشربِ الآن دماً

يا هنيًا لك (هَنِي)

٥ـ برج حـواء

صورةٌ في الجدار تلمّ نفائسها ، وتراودني عن عشاء الخريفْ

أتّقي نصفها بقميصي ، وتلفحني بارتخاء النصيفْ

جنةٌ ،

كحلها من عذابٍ ، وألوانها من زمانٍ أليفْ

كيف أُنصبُ تيجانها في إناء الغبار و كيفْ ؟

اصطفيها مجللةً بالبيادقِ

ما بين نارٍ و سيف ٥

رقصة تالية :

يا سهيل

اليمني

أنت قد علّلتني

بارتشاف السوسنِ

والرغيــف الممكــنِ

فانهلِ الآن فماً

ناضجاً من وطني

يا هنيّا لك (هني)

يا هنيا لي (هني)

٦ـ بـــرج القـــوس

أعدّ المخافر في ساعديكَ وأستقطر الصمتَ أن ينبتَ

أُعِدُّ الولائمَ للضاعنين

وأرفع من صبوة الريح : ما ، ومتى

تضجّ القوارير في الروح من فرط هيبتها

ويعومُ (المسا) ؟

عساي اصطفيتك في آخر العمر قوساً صبياً

وصافنةً مثل أنثى / تدقُّ المحارَ بعسجدها /

فتسيل البيوت بهودجها

ويصمّ الغِناءُ الأسى

عساي اجتبيتك في أخرياتي ، ويا هل عسى

لنا أن نبادلَ هذا الغبارَ جريرتهُ

: فرساً فرسا

مائدة الضَّحِك

كل شيءٍ يريدُ الضّحكْ

الفناجينُ في قهوةِ الصّبحِ

والدفءُ في تمرةٍ رَطِبَهْ .

المفاتيحُ في القفلِ ،

بابُ " الكراجِ "المسجّى ، وعينانِ تغرق في المرتبةْ

الصّغار ، وقد صعدوا درج « الباص » ،

سماعةُ التلفون

وصوتٌ يقولُ الذي خبأته السنّون

« إنت .. كيفك » .

كل شيءٍ يريد سواهْ

المجامرُ غارقةٌ في رحيقِ الثباتْ

والدفاترُ مكسورةٌ في رنينِ السّباتْ

والكتابُ الذي تتقرّى روائحَهُ

مرةً في النهارِ ،

وثانيةً في القطارِ

يزاحمُ عينيك

حتّى تثاقلتَ كالصمتِ

في المكتبهْ

كُلّ شيءٍ يريد الضّحك

كل شيءٍ يريدُ البكاءْ

الظلامُ المتيّمُ في صالةِ المائدةْ ،

النديمُ الذي تتباعدُ كي لا يراكْ ،

والدّخانُ الذي تتصيّد هذا المساءْ

** إلى عبد الرحمن طهمازي تراسلا مع قصيدته التي افتتحها

ب : « كل شيء يريد البكاء »

الأشباه

بين كفّيّ تنحلّ أشباهُكَ الازليّهْ

شاهدٌ للمدينة أعناقُها

وبِهُدْبيَ أزجي قلوصك

في النهرِ

تنحلُّ

تنحلُّ

أبيضَ صار الشبيهُ

فتأتلفُ الطير في جانحيكَ

ويختلف القوم فيكَ

عشيّةْ .

لأنين الولادات في بصرة الروح

فاضت على الكون فاتحةٌ للثريا

وآنيةٌ للمطرْ

لدوي المواقد في النخل هشّ الزمان
وسار على ساعديه
الحجرْ

للذي يتخلّق من شظفٍ / سعفٍ
والذي آب من شغفٍ
أسبل الطقس أعواده
وأتى للمدينة عشاقها
أوقدوا زُرقة الماءِ في إصبعٍ
واحتراق المدائن في إصبعين

قـام يبحـث بين الحرائق عـن جيدها

ويشير إلى الآخرين

قمت بين الحدائقِ أغسلُ ألوانه

وأشير إلى الآخرين

* * *

بين باب المدينة والخلق أسرى بي الشوق من لثغة

الطفل حتى بريق الزمانْ

خافقي سُرّة الوهم

اجنحتي وردةٌ من صبايا

وأشرعتي قبضةٌ من دخانْ .

بين كفّيّ يعدو وأعدو

أجاهر بالأسم في باب مكةَ

يا أيها الناسُ

يا أيها الناسُ

هل جاءكم قبسٌ

أرأيتم "شبيهاً" يعلّق افراسَه في الذرى ؟

سابحا في محار الأجنة مشتملا بالقرى

بين عينيه والأرض قاماتكم

وابتداء الندى بحديث عشيقاتكم .

كان ينحلّ ما بين كفيّ

أذْرَعُــهُ /

عَــرْضَه البحــر

أوله الطين ، آخره الخَلْقُ

" وجْــدٌ عضوضٌ " هو الحُــلْــمُ

أعــدو وكان أمامــي

فألمس وهــمَ (الفرابي)

ريشاً خفياً من الأنس

قافيةً من رقاعِ المعرّةِ

قارعةً من سواد النخيل

❊ ❊ ❊

كنتُ في باب مكةَ منذ نهارينِ

قرنينِ

ألفَين

من سنواتٍ

أعد الحصى في الخطى

وأبُدّلُ جلد الشوارع بالرمل

اثقب في البحر نارا

فيبتلُّ وجهي بأشباهه القزحيةْ .

(قادني السرّ يا أبتي

وحذائي زجاجْ

الحوارات مالحةٌ

والأماني أجُاجْ

هل تُرى ساورت ريبةٌ قلبهُ

أم تراه إنتهى للحجاز)

❊ ❊ ❊

بين كفيّ تنحلُّ أشباهك الأزليّةْ

في قميصك عثمانُ

في بردتيك عليٌّ

وفي غلَس الصبحِ منك أميّةْ

ها أنا مثلما أنت يا "شبهي" نتجادل في الطير

نحتلُّ وجه الأساطيرِ

نُودِعُ اشباهنا في القناديلِ

نسهو

فتنحلُّ يا سيدي

صافياً

صافياً

في الغبارْ .

بين نهرين أجلو المحار وأولجُ دهشةَ التجربةْ

أتحامي رماح العشيرة في الفجرِ

أنضو عليك الأهازيجَ

أُبدِعُ تعليكَ في المكتبةْ .

بين "سينين" أرسم في السرّ صورته

وأجادله في هوىً أتعبَهْ،

قرب "جيمين" أفتح للشعر متكأً

وأحرّر معناي من وجعي

وأحاور ما عبأتني به الأجوبة!

وشـــم

آنَ أنْ تقرأ الكفُّ عن غيمةٍ
سوفَ لا تلتقي ظلّها
وأساطير لا ترتجي ذهباً ثقلَها
وليالٍ سكبن اللظى بين جنبيك حتى استهام
ونُعاسٍ على النافذةْ
إنّه القيظْ إذ يتمدّدُ نهرُكَ
صوبَ المنامْ
تخرجُ الشمسُ من رعشةٍ فيه
مبلولةً بالأساريرِ
آنيةٌ من هــواءٍ
وآنيةً من رخـــامْ

سأقول لك الآن يا صاحبي لا عليكْ :
سوف يبقى لكفيكَ سيرةُ وشم الّتي
أُخرِجتْ من يديكْ
وتبادلت والجمر رقصتها
وحليبَ السّلامْ

يرحمُ اللهُ احياءَنا
ونصلّي لأمواتِنا
وعلى الشُّهداءِ دخولَ الكلامْ

يمامة على جدارية الأزمة

ما الذي تتقراهُ يا ابن سنانِ

خيل عبسٍ

تعيث في ذبيانِ

ليلنا غاب في جانبيهِ النهارُ

والقوافي

تفـرّ منها المعاني

لا الثريا كما عهدنا شمالاً

وسهيلٌ

ما عاد يبدو يماني

ذ رّتِ الشمس حزنها في صباحٍ

جمّد الصمت

في اشتعال لساني

خَصّنا الحظ بالزمان عريضاً

واقتتلنا

على اقتسام الثواني

أيها الحرف حِلّني من عقالي

واجترحني مدينة النسيانِ

* * *

للهِ كيـف أُجمّع الدهـــر الذي

يسري على كفّيّ

من بئرٍ إلى قدحٍ

إلى أفقٍ يضــجّ به السّغبْ

هذي جراحي فاسبحوا فيها

وإن شئتم ، فخوضوا في الدماء إلى الرُّكَبْ

هذي مسـامير الزمان تجـر قتلانا

وتبحث عن ضحايانا

وتسأل أينا مَلَكُ الذَهَبْ

نخلٌ وأورادٌ وفاكهةٌ

وهذا الرمل لو قرأته وشمي

لقال هي العربْ

تئِد الوليدة في العراء وما وعَتْ

للنار ترقص في حبال أبي لهبْ

تبّت سنون أبي لهبْ

تبّت سنون ابي لهبْ

* * *

ربي هبْ لي عدواً حكيما

واعنّي على عمى

أصدقائي

في الفضاء تلوح سيوفٌ

وبظلّي اصيح : من أعـدائي ؟

مرةً خلتني جاهليا

ومراراً

أغيب في أسـمائي

" عمريا " إذا نظرت امامي

" كسروياً "

إذا التفت ورائي

هي ذي فتنةٌ تتلظى

بين جنبيّ – وجهها – و ردائي

إِنها الحرب يا ابن سنانِ

فأعرْني

مقالة الحكماءِ

* * *

أما والذي خبأته في دفاتري

وأطعمته حبري

واسقيتـه شُـرْبي

لأسألكم هل ما ترون عجاجةٌ

وما تنقع الظلماء

من يابسٍ رَطْبِ

نذير سلامٍ لا نبالي بغُنْمه

أم انا نرى في غُرمهِ دولة الحربِ

أيا هرم ابن سنان إني معلّقٌ

إلى رايةٍ في البحـر

ادعـوا إلى قلبي

اغثنــي فليست لي بياض نياقكم

ولا شـــرفي بادٍ

كمطلعك الرحبِ

ولكنني أرعى سلام بني أبي

ودرب بني عمي

وإنْ هدموا دربي

* * *

وسِعَتْ روحي شاشاتُ الصحراء

وضقتُ على نفسي

برأتني محكمة البحر

واتهمتُ أصابعي

غازلتني ظفائرُ القدس من فوق ماراتها

فجززت اطرافها وهربت إلى وادي النهرين

لا المساء صبّ في قدحي عصيره الصيفي

ولا الصباح سكّ في قدمي عنوانه

هل أنا ذلك العربي الجاهل

ام أنا ذلك الجاهلي العربي ؟

إذاً كيف شقت الخطيئة نهرها في صدرك

ياقابيل

وكيف لنا أن نبرىء دمك في ساحات القبائل

يا هابيل ؟

* * *

قربا مربط الحضارة مني

وأنيخا

على الفراش بعيري

افرِداً من تفرّد بالرأي منا

واجمعا الناس في صباحٍ مطيرِ

آتياني من كل عقلٍ بصوتٍ

يسكب الحلم

في عروق مسيري

شاركاني في الهمِّ إني وحيدٌ

تخلط النارُ جمرَها

بسعيري

مخطىءٌ حين أحصي الخطايا

ومصيبٌ إذا اجتهدْتُ

كغيـري

* * *

لكأنما ننهلُّ من سفحٍ إلى رمحٍ

ومن نطعٍ إلى سيفٍ

ومن جرحٍ إلى ذبحٍ

من وادٍ يفيض يخيلنا حتى تفرقنا

رياح التيه والأحقادْ

لكأنما كُتِبَت على الكفين أن يلقى الفتى

اخـويه مقتتلين

من بكرٍ

إلى عبسٍ

إلى بغدادْ

هذا سوادٌ ذاهبٌ ، وسوادْ

آتٍ ، فلا ندري

أنبصرُ موتنا

أم شرفة الميلاد ؟

بغداد كيف افرُّ من هلعي عليك

واسيت جرحك حين غـرّبك الزمان ،

وكنت املأ بابك المائي

بالأعراس والحلوى

وأجلو ساعديك

ما مرّ فوق عرائش الليمون إلا وجهك العربي، يا بغداد

هل هانت لديك

أرواح من نفقوا على سواد الجبال

أحزان من حملوا إلى باب " المعظم "

عرش أسراهم ،وقتلاهم ،

وغُصّة كل بيت ؟

أرأيت فاجعة الكويت !

لا حلّ إلا من يديك

لا حلّ إلا من يديك

فتسوري وجه الفرات إلى مخادعهم

وخوني قاتليك

الظهران ٢٧ / ١٠ / ١٩٩٠م

طفولة

أيها الآباء

هل إستشرتم أحدنَا

حين أغويتم أمهاتنا

بفراشٍ من الولائم

وغاباتٍ من الورد

وشجيراتٍ من الذّهب

تظللهنّ في اسرّةِ النوايا البيضاء ؟

لا تقولوا كنا نبحثُ عنكم

فيقيناً نعرف :

أنكم كنتم مثلنا

تتلهّون بعصافيرِ الوقت

وتركضون في المسرّاتِ

حتى أصبحتمونا

خَجَلاً طافياً فوق الأنهار

إننا نسألكم أن تبقوا بعيداً عنّا

أو قريباً إلى جوارنا

لكي نتعلّم مباهج الطيرانْ

قصيدة الهوادج

ما تبقّى من العمرِ إلا الكثيرْ . . .

ما تبقّى من العمر إلا الكثيرُ ،
فماذا أُسمي البياض الذي يتعقّبُني
غازياً أم أسيرا ؟
قمْ من الليلِ ، يا لابس الخيل كما ترى
أفقاً
ناسكاً ونهاراً طهورا
إن قلبي ينوسُ وحيداً وقد فارقته البواكيرُ
واستخلفته الأساطيرُ
ينزفُ ماء الزمانِ على الساعةِ الجامدهْ

واحدهْ :

كانت السنوات تعبّ العشيّات حتى شربنا

على ظمأٍ

جمرَ ذاك الضباب العفيفْ .

واحدهْ :

صارت السنوات تغـرِّدُ في متن غربتها

وتُبيح لنا من يباس سفينتها بيرقاً ،

وتدندن ساعاتها

في الفَناءِ الرهيف .

* * *

ما تبقى من العمر إلا يسيرٌ يقود يسيرا

قد خبِرت المدينةَ . . . أبراجها واحداً واحدا .

إفترشت حصاني على بابها حينما لم أزلْ

نطفةً في الأزلْ

وتخيّرت أجمل اسمائها

من هديل الحروف

ومسّ القُبَلْ ،

قد عرفتُ المدينة . . . أنهارها والحصى

ودعوت النخيل بأحرفه اللّيّنات وباركتُه

شاهداً شاهدا

فاشهدوا أنني :

قد تحمّلتُ من وجْدِ عشّاقها ما تنوء به الذارياتْ

ورأيت الذي لم ير الأولون ولا علم الآخِرون ،

إذ سُقيتُ بوادي القرى شَرْبَةً مسّت العظم حتى أكتوى

وأغتوى القلب من غيّه ما أغتوى

وتبدّت لي الفاتناتُ ثمانين حولاً

فلا أنا مستوثقٌ من جنوني

ولا أنا عن حبهنّ (أُرعوى)

يا نساء المدينة إخفقْن كالطير مُبهَمةً في البكورِ

ومُلهِمةً في السُّرى ،

قد تلبَّستُ منكن حرقة عيس الصحارى وإبل القرى

فأنا مهلكٌ ناقتي بينكن على ملأٍ لأرى .

وأنا مستعيذٌ من الشدو بالصمت

مستمطر ديمةً أربعت ، ورياحاً تسوق هوادجها البدوية

في الماء ،

طالعةً من عروق السحابِ ، ونازلةً في متون اليبابِ ،

فلا كنت أولَ من نظر النجم يأوي إلى ظلها

ولا كنت آخِر من أبصرا .

فإذا خاضت الناس في القول

واستأنست زمناً أخضرا

أعشَبَتْ طفلة الروحِ ،

وانفلقَتْ حبّة الصبح

بين يديّ ، فأطْلِقُها

غضّةً بضّةً

تَصِفُ الكونَ بالّلونِ ،

والتمَر بالمنّ ،

والراحَ بالروحِ ،

تكتب بيني وبين بنيّ المواثيقَ

حتى إذا ما تغشّاني النوم

مِـلْتُ إلى القلب في دِعَةٍ

ودعوت لنسلي بمغفرةٍ

واستَرحْتُ لِحُرقَةِ مجد الكـرى

* * *

ما تبقّى من العمر إلا و . . . إلا

ما تبقّى من العمر إلا بياضُ الصبايا يلوّح للطيرِ

أن إهبطي من علٍ

واشربي باقيات يقيني

ما تبقّى سوى رعشة الثوب في بدني ،

واختلاجِ الأعنّة فوق جوادي ،

وكأسِ حنيني .

* * *

ما تبقى من العمر إلا التي راودَتْني صغيرا ،

اتعَبَتْني كبيرا ،

البلادُ التي .

. . . .

. . . .

. . . . .

. .

سأُغني لهودجها البدويّ ،

وأرقصُ بين يديها ومن

خلفها

مبصراً وضريرا .

غيمةٌ لي... وقميصٌ لفتنتها

فجر الإثنين

قد خلعتك عن شجرٍ يتبادل فيك السهامَ ،

إلى شجرٍ يتعاور فيكِ الخصامَ ،

ومن ريبةٍ جاورت نعشها في الحقائبِ

حتى شكوك يقينيْ

فانزعي ما تبقى من الريش ولتستري فتنة الصمت

أو فانزعيني

إستحمي على الرمل ولتكملي عدة الأربعين على الماء

إن المدينة غارقةٌ في هواءٍ من القار ، غائبةٌ في حضـورٍ

من النار

تائهة في الهوية والاهتواء .

مامنحتُك إلا الكلام صموتاً فأنطقته بالبكاءْ

كيف لو كنتُ اشرعتُ بين يديك الدواوين

أو خنتُ بعض البساتين

أو جئتُ معتمراً بالحقيقة بيضاء بيضاء

فلتحملي إصر آبائنا ،

وحنين بنينا

إذا غام فوق عويل النساءْ

مساء الأحد

بين هذا الفضاء النحيلِ ، وهذا الشتاء الثقيلِ ، وبين الرفيع وبين الذليلِ ، وبين القواقع مزدانةً بالردى ، والشراشف ملتفةً بالعويلِ ، تمسّكتُ بالقلب كي لا يظلّ ، وبالكف ألاُ تُذلّ ، وبالريح ألا تطول ، وبالرفض آناً وآناً ببعض القبول ، وآناً أنيخ الثرى فأعاقر أحزانه والردى فأزيّن عنوانه ، والقبور فأقرأ اسماء من سبقونا ، وفي صفحات المواليد أرقب من لحقونا ،

وأسلمت لله أمر المدينة مذبوحةً دون ذنبٍ سوى حزنها ،

ودواعيس تسبح في عُرْبِها ومفازات ضاقت على (غُرْبِها)،

واستعنت بنفسي عليّ ، وكنتُ انتهيت إلى وجهها وارتقيتُ لسُدّتها فرأيت !

رأيت الفضاء النحيل وذاك الشتاء الثقيل ،

وكانت على مذبحٍ من يدي فانحنيت

" يا ليل ليّل فوق قلبي وضمّه
وانثر جناحينه على ونّة أمه
لا آنا من العشب المغيّب في الاكفان
ولا آنا من الكادي ولا ريحة الجان
آنا سفر مكسور حافي وضميان
وآنا مضارب بدو تطوي سماها " (١)

طالعٌ من سحيق الصبابة حتى رحيق الكتابة ، أسأل مهد الصبا أن يؤوب وجمر الهوى أن يتوب ، وأوقد في زيت ماء القناديل فتنتها

لتضيءَ السوانح ما بين لابة وجه المدينة والقبر

كيما تُسَرّ بنا الفاتحة .

مطري في القبائل يحنو على جثةٍ مات سيدها ويداري

دموع التي فارقت بعلها ، بالندى

ويسدّ المدى

بين نهر العشيق وفوّهة الأضرحة .

ما لكفٍ توضأ في صيفه بالنوارس غرقى سوى زهرةٍ مالحة

أي صوتٍ هو البحر حين امتطى الزيت قامته وهوى ليلة

البارحة

فاشربي كي يقرّ لسانك بعض دمي بتها النائحة .

* * *

آن لي أن أريح الذبيحة في مهدها وأواري عن الناس سوأتها

وأصلي . .

فأسأل مقتلها :

" أي أرضٍ سنختار كي نشعل المدفعية فارغةً

والبوارج عامرةً

ونسوّي لهذي البِحَارِ عرائس من مرمرٍ وذَهَبْ

ثم نكتب في دفتر الجند

شعر الرثاء وشعر الطرب ؟

آن لي ان أحرّر هذه الثمالة من حزنها وأفيقْ

وأهيل من الظلّ فوق ترائبها كي تظلّ الطريقْ

وأقاوم ألا تقوم من القبر ثانيةً بين زهو العدو وقهر الصديق .

" ياحزن حطّ الغيم في كفّك ثيابْ

وحطّني لمبة على سدّة البابْ

لانثر نهَر جمري على جمر الاحباب

وارعى شجر غائب تغرّب ولا تاب

وانقش هوى الديرة على جال ماها " (٢)

صباح الجمعة

(ولي وطنٌ) قـاسَـمْـتُـه فـتنة الهـوى

ونافـحـتُ عن بطحـائه من يقـاتلُهْ

إذا مـا سـقـاني الغـيث رطبـاً من الحـيـا

تـنفّـس صـبـح الخـيـل وانـهـلّ وابلُهْ

وإن مسّني قهرٌ تلمّستُ بابه
فتورق في قلبي بروقاً قبائلُهْ
تمسّكت من خوفٍ عليه بأمتي
وأشهرت سيف الحب هذي قوافلُهْ

* كتبت مقاطع القصيدة فيما بين يناير ويوليو من عام ٩١م

** ١, ٢ مقطعان من قصيدة شعبية للشاعر بعنوان (مطرية الصوت الآخر) لم تنشر

ديوان الصمت

أيها الصامتان الوقوران كالثلج فوقَ المآذنِ

والوشمِ في عتباتِ المكانْ

كيف تبلى الليالي بأقراطها البيضِ بين ثيابِ

المدينةِ ، من دونِ سوءٍ ،

ولا تبليانْ

غابةً كنتُ ، لكنني قد حسبتُ بأنكما

طائرانْ

توّجَ الصمتُ حبركما

فامنحاني من الحبرِ ما يُترعُ القلبَ

قبلَ انطفاءِ الأوان

** إلى جبير المليحان و فهد الخليوي

موسيقى

دلقتُ الموسيقى على بلاطِ الممراتْ
وعلّقتُ الطبلةَ في أعالي الأشجارْ
قلتُ لطفلي : هوذا غناءُ أبيك
وتلك رقصةُ جدّكْ
فتعال لأملأكَ بي .

تناولَ كرّاساته وغمّسها في موسيقى البلاطْ
لوّن قمصانَهُ بأصواتها الغريبةْ
ومطّ لسانَهُ
طـــــويلاً . . . طــــــويلاً
حتى انثقبَ جلدُ الطبلة
فهوَتْ إلى الفراغِ
مكسوّةً برنين الأسمنت
وفُتاتِ الأوراق .

معلّقة الطائر الجاهلي

طفولة الحصى

رهيفُ الهوى سيّدٌ

وعينٌ ترى ما يلي

تخضّبتُ بالكائنات

وقاسمتها قاتلي

يشاغبني وجهها

فأصفو ولا تنجلي

مليءٌ بما ليس لي

أنا الطائر الجاهلي

ولي في قُراها عاشقاتٌ وإنني

بلغتُ الهوى

في الخمسِ من سنواتي

نزعتُ لها من ماء دارينَ عُشبةً

ففاضت سيول الصيف

في السَّرَوات

طربتُ فساقيتُ الحصى من صبابتي

وسِلْتُ

وكان النهر بعضَ صِفاتي

رأيتُ الذي قد أبصر الخلقُ في الكرى

نوافيرَ من خيلٍ وصبحٍ غصونهُ

ندامى على ماءٍ

وماءً قراحَهُ ،

صبا نجدَ حُلَّتْ في عروقِ دواتي

تجرّدتُ منها وافترشتُ عشيّتي

وأصبحتُ ،

مائي ماؤها لا يُصيبني ،

من الشمسِ إلا وجهُها ،

عُلّقتْ بهِ ،

مصابيحُ ولدانٍ يطوفون بالقطا

على خيمتي عَـــدْوَاً

فأُنـــكرُ ذاتي

لحا اللهُ تشرابي النوى كل ليلةٍ

وبارك في حبي لها ،

كلما الهوى دنى

عدوتُ إلى المقهى أُصادي دُخَانَها

ومنها أعبُّ الشايِ في خلواتي

فلا تُنكروا مني جنوني لربّما

رأيتم أخي الجنـــيّ

في نزواتي

النهـــر

لسحابتي الأولى رفعتُ غمامتي

وصعدتُ من نهر " الجُهيْدِ " إلى " البُريْدة " **

كان الندى غصناً من الحناء في كفي

ووجه صبيّةٍ عبَرَتْ مضيقَ النهرِ يسكُنُني ،

فأُسْرِجُ في الجبالِ مشاعلَ العشاقِ : يا ليلى

دخلنا ذِمّةَ العذريّ فليغفرْ لهذا الطيرِ

أن يلج الحرائقَ طاعناً في الحبِ

ريشاً فوق ظهرِ ذُلُولِه البيضاء ،

يبْني قريتين على سواعدهِ

ويحلمُ أن يرى طفلين يشتجران ما بين

القصيدةِ و القصيدةْ .

قطعنا شفا " عروان " حتى قوائمهْ

وكانت شظايا الشمس في الأفقِ نائمةْ

نقشتُ لها صُبحي ففكّت حروفَهُ

وأودعتُها سرّي

، وما كنت مثلها

غوياً

فشدّتني وحلّت تمائمهْ

إلى بارقٍ تسري ، أنا في تهامة

وسعدى على السّروات تروي علائمَهْ

البريـــد

تُرسلينني إليكِ فلا أصل

وما يتبقى من غرانيقِ الوقت إلا تراث الهاتف

وأباريق المحابر

أرسِلْني في قاطرات البريد

فألقاني في حقائبك

طرداً ممزّقاً من قلّة عبث الأيدي

ومن كثرةِ تحديق العيون .

أيتها البريّة الحبلى

بأثداء العطش وحواصل الطير

إحتفظي بسدرة الوردة

ونعاس النجوم

فلو شققت قميص الأغنية

لرأيتِ قلاعاً من سلاسل خطواتي

حول حفريّات اسفارك

ونحل بردياتك

نشيد القتلى

فاعلاتن طريقنا يا بناتُ

كيف أحيا ووجهها أمواتُ

فعللاتن أنا وأنت فعولن

يتساوى عند الخليل الطغاةُ

أو ما

لامك الشامتون عشاءً

يوم ضاعت عن ناظريك المهاةُ

فسلكتِ القريض كي تهجريني

ثم حنّت

لبعضها

الأصـــــواتُ

من بِابل الأحقافِ أعلمُ أن صيفي فيكِ مأثمةٌ ، وأن

شتاءَنا حُرَقُ ، وأنت دفعتني دفع القطاة إلى الغديرِ ،

فما استقينا

غير جدب تمائم الأعراف ،

يا بدويةً هشّت على لهبي بأطراف الحروف وغرّبتني

هذا رماد ذبائحي سكّيه قنطرةً إلى الذكرى

أيا شجراً رأيت يمامَهُ مطراً

وألبستُ الحديقة منه فاكهةً،

وأطعمتُ البلابل والسنابل، والرقاب ،

ولوح متني ،

الغـابـة

شربت من ظمأٍ جارٍ فما انتجعت

أفراس روحي ولا توقي العصافيرُ

إلا إلى غابةٍ أحســـو حرائقها

وتحتسيني على الوهم القواريرُ

ماذا تبقّى من الوجد الذي انفطرت

عروقهُ وارتوت منه الأساطيرُ

قد كنت أبحثُ في صحرائهِ عُمُراً

عن ناظريَّ فخانتني التصاويرُ

خيمة السندباد

لا شيءَ يا "مهرانُ" *، جئتك عارضاً وجهي

وأوراقَ المسافرِ في يميني

فاقبلْ مبيتي ليلتين

ودونَ الأسماء

والأرقامَ

والوشمَ القديمَ على جبيني

لخيامنا الأولى دفعت مراكبي

ورسوتُ ما بينَ العقيق إلى الطّويْلةْ*

مستقطراً غيث الصبيّة أن تهلَّ رعودُهُ

بَرَداً يؤانس وحشتي في نار حنطتها

ويسفح من دمي ماءً تُسَرُّ به القبيلةْ

يا أيها المطرُ المطأطئ في ذؤابتها

أبحْ لي ليلةً في الصيف

أتلو بين عينيها النشيد ،

فقدْ

كسر الهوى قدحي

وها أنذا أصبُّ لها

غليلهْ .

يطلّ جبل البريدة متوسط الارتفاع ومن فوقه شفا عروان بارتفاعه الشاهق وكذلك مهران والطويلة على مجرى نهر صغير يمرّ بأطراف مدينة الباحة ، ويسمي أهل قريتنا "محضرة"ما يخصّهم من منطقة النهر

ب " الجهيد"

القصائد

** كتبت هذه القصائد ما بين عامي ٨٩ ، ٩٣ م

يا أيها المطرُ المطأطئ في ذؤابتها

أبِحْ لي ليلةً في الصيف

أتلو بين عينيها النشيد ،

فقدْ

كسر الهوى قدحي

وها أنذا أصبُّ لها

غليلهْ .

يطلّ جبل البريدة متوسط الارتفاع ومن فوقه شفا عروان بارتفاعه الشاهق وكذلك مهران والطويلة على مجرى نهر صغير يمرّ بأطراف مدينة الباحة ، ويسمي أهل قريتنا "محضرة" ما يخصّهم من منطقة النهر

ب " الجهيد"

القصائد

** كتبت هذه القصائد ما بين عامي ٨٩ ، ٩٣ م



بين كفَّيَ تنحلَّ أشباهك الازليَّهْ

شـاهدٌ للمدينة أعناقُها

وبِهُدْبيَ أزجي قلوصك

في النهرِ

تنحلُّ

تنحـلُّ

أبيض صار الشبيهُ

فتأتلف الطير في جانحيكَ

ويختلف القوم فيك

عشيّةْ .